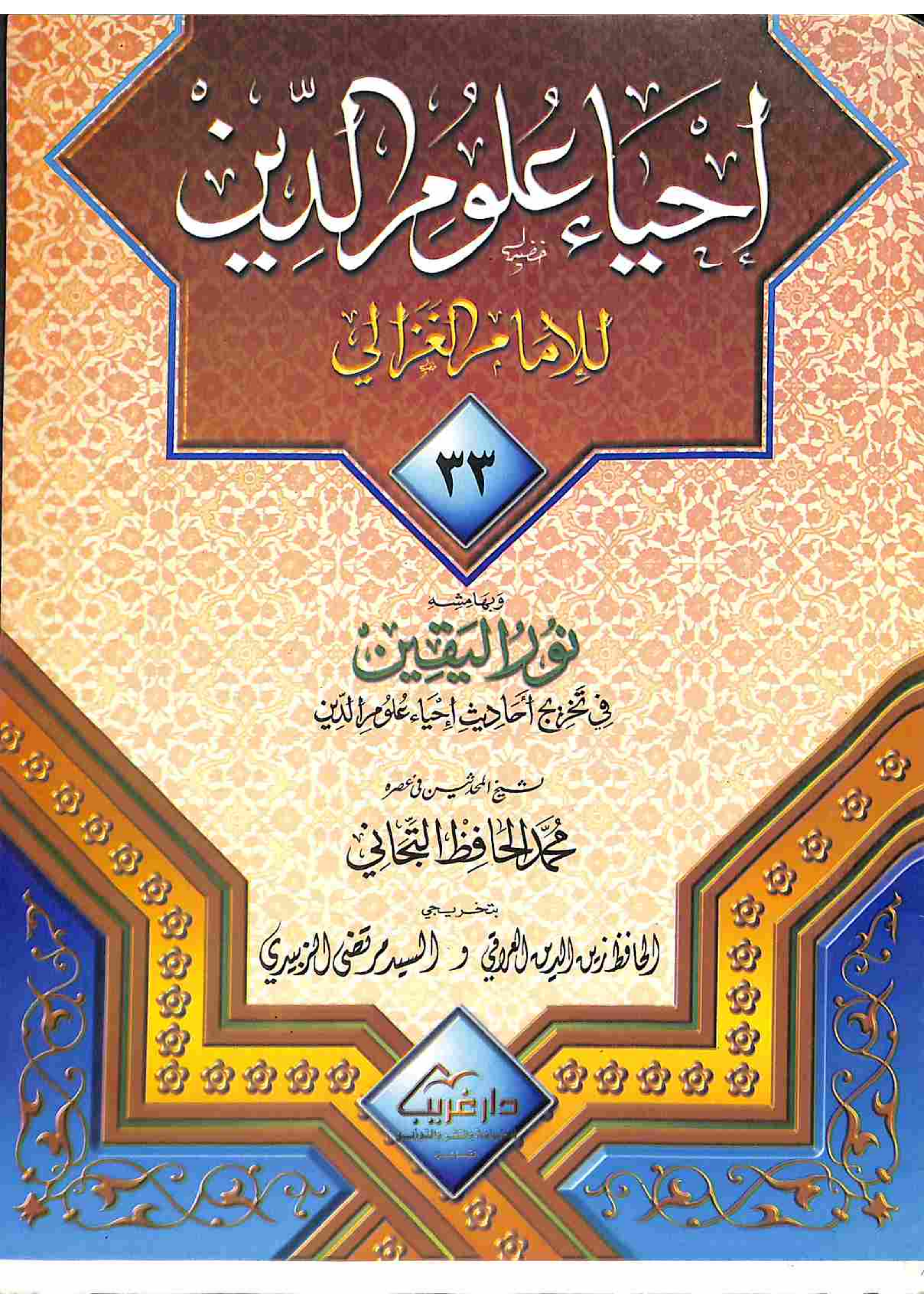


إحياء علوم الدين
للإمام الغزالي
٣٣
وبهامشه
نور اليقين
في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين
لشيخ المحدثين في عصره
محمد الحافظ التجاني
بتخريجي
الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي
دار غريب

الأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكنه قال : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الصافات: ١٧١) .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (السجدة : ١٣)،

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٠١) .

فإن خطر ببالك أنه لِمَ اختلفت السابقة وهم فى ربقة العبودية مشتركون ؟

نوديت من سرادقات الجلال : لا تجاوز حد الأدب ، فإنه : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٣) .

ولعمرى تأدب اللسان والظاهر مما يقدر الأكثرون ، فأما تأدب السر عن اضمار الاستبعاد بهذا الاختلاف الظاهر فى التقريب والإبعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد ، فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون فى العلم .

ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع فى المنام : إنه الصفو الزلال الذى لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء ، لأنه محرك لأسرار القلوب ومكانها ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذى يكاد يحل عقدة الأدب عن السر ، إلا ممن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته .

ولذلك قال بعضهم : ليتنا نجونا من هذا السماع رأسا برأس .

ففى هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة ، فإن غاية ذلك معصية وغاية الخطأ ههنا كفر .

واعلم أن الفهم قد يختلف بأحوال المستمع ، فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد وأحدهما مصيب فى الفهم والآخر مخطئ أو كلاهما مصيبان ، وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ، ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لا يتناقض .

كما حكى عن عتبة الغلام أنه سمع رجلا يقول :

سبحان جبار السماء إن المحب لفى عناء

فقال : صدقت ، وسمعه رجل آخر فقال : كذبت فقال بعض ذوى البصائر : أصابا جميعا ، وهو الحق .

فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود متعب بالصد والهجر والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به ، أو كلام محب غير مصدود عن مراده فى الحال ، ولا مستشعر بخطر الصد فى المآل ، وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم .

وحكى عن أبى القاسم بن مروان وكان قد صحب أبا سعيد الخراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة ، فحضر دعوة وفيها إنسان يقول :

واقف فى الماء عطشان ولكن ليس يسقى

فقام القوم وتواجدوا ، فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت ، فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور أسبابها ، فلم يقنعه ذلك ، فقالوا له : فماذا عندك فيه ؟ فقال : أن يكون فى وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة .

وهذه إشارة إلى إثبات حقيقة وراء الأحوال والكرامات ، والأحوال سوابقها والكرامات تسنح فى مباديها ، والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها ، ولا فرق بين المعنى

الذى فهمه ، وبين ما ذكروه إلا فى تفاوت رتبة المتعطش إليه ، فإن المحروم عن الأحوال الشريفة أولا يتعطش إليها ، فإن مكن منها تعطش إلى ما وراءها ، فليس بين المعنيين اختلاف فى الفهم ، بل الاختلاف بين الرتبتين .

وكان الشبلى رحمه الله كثيرا ما يتواجد على هذا البيت :

ودادكم هجر وحبكم قلى ... ووصلكم صرم وسلمكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة ، بعضها حق وبعضها باطل ، وأظهرها أن يفهم هذا فى الخلق ، بل فى الدنيا بأسرها بل فى كل ما سوى الله تعالى، فإن الدنيا مكارة خداعة قتالة لأربابها معادية لهم فى الباطن ومظهرة صورة الود .

« فما امتلأت منها دار حبرة إلا امتلأت عبرة » (٢٢٩٩) كما ورد فى الخبر .

وكما قال الثعالبى فى وصف الدنيا :

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها ... ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفى مرجوّها بمخوفها ... ومكروهها أما تأملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا ... وعندى لها وصف لعمرى صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب ... شهى إذا استذللته فهو جامح
وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ... ولكن له أسرار سوء قبائح

والمعنى الثانى : أن ينزله على نفسه فى حق الله تعالى ، فإنه إذا تفكر فمعرفته جهل إذا ما قدروا الله حق قدره ، وطاعته رياء إذ لا يتقى الله حق تقاته وحبه معلول، إذ لا يدع شهوة من شهواته فى حبه ، ومن أراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه ، فيرى مصداق هذا البيت فى نفسه وإن كان على المرتبة بالإضافة إلى الغافلين ولذلك

(٢٢٩٩) حديث : « ما امتلأت دار منها حبرة إلا امتلأت عبرة » **قال العراقى** : رواه ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبى كثير مرسلاً .اهـ.

قال ﷺ : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (٢٣٠٠) .

وقال ﷺ : « إنى لأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة » (★) وإنما كان استغفاره عن أحوال هى درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها ، وإن كانت قربا بالإضافة إلى ما قبلها، فلا قرب إلا ويبقى وراءه قرب لا نهاية له إذ سبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه ، والوصول إلى أقصى درجات القرب محال .

والمعنى الثالث : أن ينظر فى مبادئ أحواله ، فيرتضيها ثم ينظر فى عواقبها فيزدريها ، لاطلاعه على خفايا الغرور فيها ، فيرى ذلك من الله تعالى ، فيستمع البيت فى حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر ، وهذا كفر كما سبق بيانه ، وما من بيت إلا ويمكن تنزيله على معان ، وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه .

الحالة الرابعة : سماع من جاوز الأحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها ، وكان كالمدهوش الغائص فى بحر عين الشهود الذى يضاهى حاله حال النسوة اللاتى قطعن أيديهن فى مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن ، وسقط احساسهن ، وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بأنه قد فنى عن نفسه ، ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أفنى ، فكأنه فنى عن كل شىء إلا عن الواحد المشهود وفنى أيضا عن الشهود ، فإن القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن المشهود ، فالمستهتر بالمرئى لا التفات له فى حال استغراقه إلى رؤيته ، ولا إلى عينه التى بها رؤيته ، ولا إلى قلبه الذى به لذته ، فالسكران لا خبر له من سكره ، والمتلذذ لا خبر له من التذاذه ، وإنما خبره من المتلذذ به فقط ، ومثاله العلم بالشىء ، فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشىء. فالعالم بالشىء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشىء كان معرضا عن الشىء .

(٢٣٠٠) حديث : قال ﷺ : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » **قال العراقى** : رواه مسلم وقد تقدم فى حديث رقم ٢٤٣ ص ٣٢٥ وحديث رقم ١١٣٩ص ١٠٦٠ .اهـ.

(★) **قال العراقى** : هذا الحديث تقدم تخريجه فى الباب الثانى من كتاب الأذكار .

ومثل هذه الحالة قد تطرأ فى حق المخلوق ، وتطرأ أيضا فى حق الخالق ، ولكنها فى الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم ، وإن دام لم تطقه القوة البشرية ، فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك به نفسه .

كما روى عن أبى الحسن النورى أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت :

مـــا زلـت أنزل مـن ودادك منـزلا تتـحـيـر الألبـاب عند نـزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه ، فوقع فى أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف ، فصار يعدو فيها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماه وساقاه ، وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله .

فهذه درجة الصديقين فى الفهم والوجد ، فهى أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات الكمال ، فهى ممتزجة بصفات البشرية ، وهو نوع قصور وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله ، أعنى أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها - كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدى والسكاكين - فيسمع لله وبالله وفى الله ومن الله .

وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال ، واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص ، فلم يبق فيه منه شىء أصلا بل خمدت بالكلية بشريته ، وفنى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ، ولست أعنى بفنائه فناء جسده ، بل فناء قلبه ولست أعنى بالقلب اللحم والدم ، بل سر لطيف له إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذى هو من أمر الله عز وجل ، عرفها من عرفها وجهلها من جهلها .

ولذلك السر وجود ، وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه ، فإذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر ، ومثاله المرآة المجلوة إذ ليس لها لون فى نفسها ، بل

لونها لون الحاضر فيها ، وكذلك الزجاجة فإنها تحكى لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها ، وليس لها فى نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ، ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان ، ويعرب عن هذه الحقيقة أعنى سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه قول الشاعر:

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وهذا مقام من مقامات علوم المكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال : أنا الحق وحوله يدندن كلام النصارى فى دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت ، أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلفت فيهم عباراتهم ، وهو غلط محض يضاهى غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة إذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها .

وإذا كان هذا غير لائق بعلم المعاملة ، فلنرجع إلى الغرض ، فقد ذكرنا تفاوت الدرجات فى فهم المسموعات .

المقام الثانى بعد الفهم والتنزيل: الوجد :

وللناس كلام طويل فى حقيقة الوجد ، أعنى الصوفية والحكماء الناظرين فى وجه مناسبة السماع للأرواح ، فلننقل من أقوالهم ألفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه .

أما الصوفية فقد قال ذو النون المصرى رحمه الله فى السماع : إنه وارد حق جاء يزعج القلوب إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تحقق ، ومن أصغى إليه بنفس تزندق ، فكأنه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحق ، وهو الذى يجده عند ورود وارد السماع ، إذًا سمى السماع وارد حق .

وقال أبو الحسين الدراج مخبراً عما وجده فى السماع : الوجد عبارة عما يوجد عند السماع ، وقال : جال بى السماع فى ميادين البهاء ، فأوجدنى وجود الحق عند

العطاء ، فسقانى بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء وأخرجنى إلى رياض التنزه والفضاء .

وقال الشبلى رحمه الله : السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة ، فمن عرف الإشارة حل له استماع العبارة ، وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية .

وقال بعضهم : السماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة لأنه وصف يدق عن سائر الأعمال ، ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله .

وقال عمرو بن عثمان المكى : لا يقع على كيفية الوجد عبارة ، لأنه سر الله عند عباده المؤمنين الموقنين .

وقال بعضهم : الوجد مكاشفات من الحق .

وقال أبو سعيد بن الأعرابى : الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب ، وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وإيناس المفقود ، وهو فناؤك من حيث أنت .

وقال أيضا : الوجد أول درجات الخصوص ، وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع فى قلوبهم نوره ، زال عنهم كل شك وريب .

وقال أيضا : الذى يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس ، والتعلق بالعلائق والأسباب لأن النفس محجوبة بأسبابها ، فإذا انقطعت الأسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجعت الموعظة فيه ، وحل من المناجاة فى محل قريب ، وخوطب وسمع الخطاب بأذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر ، فشاهد ما كان منه خاليا ، فذلك هو الوجد لأنه قد وجد ما كان معدوما عنده .

وقال أيضا : الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق ، أو توبيخ على زلة أو محادثة بلطيفة أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض ، أو استجلاب إلى حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسر ، وهو مقابلة

الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر ، واستخراج مالك بما عليك مما سبق لك السعي فيه ، فيكتب ذلك لك بعد كونه منك ، فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر ، إذ كان هو المبتدئ بالنعم والمتولي ؛ وإليه يرجع الأمر كله ، فهذا ظاهر علم الوجد وأقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة .

وأما الحكماء فقال بعضهم : في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان ، فلما ظهرت سرت وطربت إليها ؛ فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر .

وقال بعضهم : نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأي ، واستجلاب العازب من الأفكار ، وحدة الكال من الأفهام والآراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ، ويمرح في كل رأي ونية ، فيصيب ولا يخطئ ويأتي ولا يبطئ .

وقال آخر : كما أن الفكر يطرق العلم إلى المعلوم ، فالسماع يطرق القلب إلى العالم الروحاني .

وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والإيقاعات فقال : ذلك عشق عقلي ، والعاشق العقلي لا يحتاج إلى أن يناغي معشوقه بالمنطق الجرمي ، بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والإشارة ، وهذه نواطق أجمع إلا أنها روحانية ، وأما العاشق البهيمي فإنه يستعمل المنطق الجرمي ليعبر به عن ثمرة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف .

وقال آخر : من حزن فليسمع الألحان ، فإن النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها ، وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها ، فيظهر الحنين بقدر قبول القابل ، وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس .

والأقاويل المقررة فى السماع والوجد كثيرة ، ولا معنى للاستكثار من إيرادها ، فلنشتغل بتفهيم المعني الذى الوجد عبارة عنه فنقول : إنه عبارة عن حالة يثمرها السماع، وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه ، وتلك الحالة لا تخلو عن **قسمين :**

فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هى من قبيل العلوم والتنبيهات ، وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هى كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور ، والأسف والندم والبسط والقبض .

وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها ، فإن ضعف بحيث لم يؤثر فى تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته ، لم يسم وجدا ، وإن ظهر على الظاهر سمى وجدا إما ضعيفا وإما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده ، وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه.

فقد يقوى الوجد فى الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه ، وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك .

وإلى المعنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابى حيث قال فى الوجد : إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب .

ولا يبعد أن يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفا قبله ، فإن الكشف يحصل بأسباب منها التنبيه والسماع منبه ، ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها ، فإن إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورود ، ومنها صفاء القلب ، والسماع يؤثر فى تصفية القلب والصفاء سبب الكشف، ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع ، فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته ، كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله .

وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار الملكوت ، كما أن عمل البعير حمل الأثقال ، فبواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف ، بل القلب إذا صفا ربما يمثل له الحق فى صورة مشاهدة أو فى لفظ منظوم يقرع سمعه ، يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان فى اليقظة وبالرؤيا إذا كان فى المنام ، وذلك جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة ، وذلك كما روى عن محمد بن مسروق البغدادى أنه قال : خرجت ليلة فى أيام جهالتى وأنا نشوان وكنت أغنى بهذا البيت :

بطور سيناء كرم ما مررت به إلا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول :

وفى جهنم ماء ما تجرعه خلق فأبقى له فى الجوف أمعاء

قال : فكان ذلك سبب توبتى واشتغالى بالعلم والعبادة .

فانظر كيف أثر الغناء فى تصفية قلبه ، حتى تمثل له حقيقة الحق فى صفة جهنم فى لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر .

وروى عن مسلم العبادانى أنه قال : قدم علينا مرة صالح المرى وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسوارى فنزلوا على الساحل ، قال : فهيأت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه فجاءوا ، فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بقائل يقول رافعا صوته هذا البيت :

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيها غير نافع

قال : فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه ، وبقى القوم ، فرفعت الطعام وما ذاقوا والله منه لقمة .

وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة ، وفى مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها وإما على مثال يحاكى صورتها بعض المحاكاة .

« وقد رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام مرتين فى صورته ، وأخبر عنه بأنه سد الأفق » (٢٣٠١) .

وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۞ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴾ (النجم : ٥ - ٧) إلى آخر هذه الآيات .

وفى مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الإطلاع على ضمائر القلوب ، وقد يعبر عن ذلك الإطلاع بالتفرس ولذلك قال ﷺ : **« اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»** (٢٣٠٢) .

(٢٣٠١) حديث : « رأى » رسول الله ﷺ « جبريل عليه السلام مرتين فى صورته » الأصلية «فأخبر أنه سد الأفق» **قال العراقى** : متفق عليه من حديث عائشة .اهـ.

قال مرتضى : وأخرج البخارى من حديث عائشة ﵂ مرفوعًا أحيانًا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول ورواه مسلم كذلك وفى حديث جابر: بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه .

(٢٣٠٢) حديث : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » **قال العراقى** : رواه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حديث غريب .اهـ.

قال مرتضى: ورواه فى التفسير من جامعه وكذا أبو يعلى فى مسنده والعسكرى فى الأمثال كلهم من طريق عمرو بن قيس الملائى عن عطية العوفى عن أبى سعيد به مرفوعا ثم قرأ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ وقد روى عن بعض أهل العلم فى تفسير ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال للمتفرسين وكذا أخرجه الهروي والطبرانى وأبو نعيم فى الطب النبوى وابن عدى وغيرهم كالحكيم الترمذى وسمويه من طريق راشد بن سعد عن أبى أمامة مرفوعا ويروى عن ابن عمر وأبى هريرة أيضا بل هو عند الطبرانى وأبى نعيم والعسكرى من طريق وهب=

وقد حكى أن رجلا من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول : ما معنى قول النبى ﷺ : « **اتقوا فراسة المؤمن** » فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك حتى انتهى إلى بعض المشايخ من الصوفية فسأله ، فقال له : معناه أن تقطع الزنار الذى على وسطك تحت ثوبك ، فقال : صدقت ، هذا معناه وأسلم ، وقال : الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق .

وكما حكى عن إبراهيم الخواص قال : كنت ببغداد فى جماعة من الفقراء فى الجامع ، فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه ، فقلت لأصحابى : يقع لى أنه يهودى ، فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم ، وقال : أى شىء قال الشيخ فىّ ؟ فاحتشموه ، فألح عليهم ، فقالوا له : قال : إنك يهودى ، قال : فجاءنى وأكب على يدى وقبل رأسى وأسلم ، وقال : نجد فى كتبنا أن الصديق لا تخطئ فراسته ، فقلت : أمتحن المسلمين فتأملتهم ، فقلت : إن كان فيهم صديق ففى هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه ، فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرس فىّ علمت أنه صديق ، قال : وصار الشاب من كبار الصوفية ، وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله ﷺ : « **لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء** » (★) .

= ابن منبه عن طاوس عن ثوبان مرفوعا بلفظ احذروا دعوة المسلم وفراسته فإنه ينظر بنور الله وينظر بتوفيق الله ولكن قال الخطيب عقب أبى سعيد المحفوظ ما رواه سفيان عن عمرو بن قيس قال كان يقال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وعند العسكرى من حديث ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير بن هانئ عن أبى الدرداء من قوله اتقوا فراسة العلماء فإنهم ينظرون بنور الله أنه شىء يقذفه الله فى قلوبهم وعلى ألسنتهم وكلها ضعيفة وفى بعضها ما هو متماسك لا يليق مع وجوده الحكم على الحديث بالوضع لا سيما وللبزار والطبرانى وغيرهما كأبى نعيم فى الطب بسند حسن عن أنس مرفوعا أن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم .

(★) **قال العراقى** : هذا الحديث تقدم تخريجه فى كتاب الصوم .

وإنما تحوم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة ، فإنها مرعى الشيطان وجنده ، ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه ، لم يطف الشيطان حول قلبه ، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (الحجر : ٤٠) .

وبقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (الإسراء : ٦٥) .

والسماع سبب لصفاء القلب ، وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء ، وعلى هذا يدل ما روى أن ذا النون المصرى رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال ، فاستأذنوه فى أن يقول لهم شيئا فأذن لهم فى ذلك فأنشأ يقول :

صغير هواك عذبنى فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت فى قلبى هوى قد كان مشتركا
أما ترثى لمكتئب إذا ضحك الخلى بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر فقال ذو النون : الذى يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل ، وكان ذلك اطلاعا من ذى النون على قلبه أنه متكلف متواجد ، فعرفه أن الذى يراه حين يقوم هو الخصم فى قيامه لغير الله تعالى ، ولو كان الرجل صادقا لما جلس .

فإذًا قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات ، واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الإفاقة منه ، وإلى مالا تمكن العبارة عنه أصلا ، ولعلك تستبعد حالة أو علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته ، فلا تستبعد ذلك ، فإنك تجد فى أحوالك القريبة لذلك شواهد .

أما العلم ، فكم من فقيه تعرض عليه مسئلتان متشابهتان فى الصورة، ويدرك الفقيه بذوقه أن بينهما فرقا فى الحكم ، وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان

على التعبير ، وإن كان من أفصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه، وإدراكه الفرق علم يصادفه فى قلبه بالذوق ، ولا يشك فى أن لوقوعه فى قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ، ولا يمكنه الإخبار عنه لا لقصور فى لسانه بل لدقة المعنى فى نفسه عن أن تناله العبارة ، وهذا مما قد تفطن له المواظبون على النظر فى المشكلات.

وأما الحال فكم من إنسان يدرك فى قلبه فى الوقت الذى يصبح فيه قبضا أو بسطا، ولا يعلم سببه ، وقد يتفكر الإنسان فى شيء فيؤثر فى نفسه أثرا ، فينسى ذلك السبب ويبقى الأثر فى نفسه وهو يحس به ، وقد تكون الحالة التى يحسها سرورا ثبت فى نفسه بتفكره فى سبب موجب للسرور أو حزنا فينسى المتفكر فيه ، ويحس بالأثر عقيبه .

وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ، ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر الموزون ، والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض ، وهى حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها أعنى التفرقة بين الموزون والمنزحف ، فلا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له وفى النفس أحوال غريبة ، هذا وصفها بل المعانى المشهورة من الخوف والحزن والسرور إنما تحصل فى السماع عن غناء مفهوم.

وأما الأوتار وسائر النغمات التى ليست مفهومة ، فإنها تؤثر فى النفس تأثيرا عجيبا ، ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الآثار ، وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق إليه فهو عجيب ، والذى اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهين وما أشبهه ليس يدرى إلى ماذا يشتاق ويجد فى نفسه حالة كأنها تتقاضى أمرا ليس يدرى ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمى ولا حب الله تعالى .

وهذا له سر وهو أن كل شوق فله **ركنان** :

أحدهما : صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه .

والثانى : معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه .

فإن وجدت الصفة التى بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق إليه كان الأمر ظاهرا ، وإن لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها أورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة .

ولو نشأ آدمى وحده بحيث لم ير صورة النساء ، ولاعرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولكن لا يدرى أنه يشتاق إلى الوقاع ، لأنه ليس يدرى صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء فكذلك فى نفس الآدمى مناسبة مع العالم الأعلى ، واللذات التى وعد بها فى سدرة المنتهى والفراديس العلا إلا أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والاسماء ، كالذى سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه فى المرآة ليعرف بالمقايسة .

فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط ، والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذى إليه حنينه واشتياقه بالطبع ، فيتقاضاه قلبه أمرا ليس يدرى ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ، ويكون كالمختنق الذى لا يعرف طريق الخلاص ، فهذا وأمثاله من الأحوال التى لا يدرك تمام حقائقها ، ولا يمكن المتصف بها أن يعبر عنها ، فقد ظهر انقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره.

واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى : هاجم وإلى متكلف ويسمى التواجد ، وهذا التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذى يقصد به الرياء واظهار الأحوال الشريفة مع الإفلاس منها ، ومنه ما هو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة

واكتسابها واجتلابها بالحيلة ، فإن للكسب مدخلا فى جلب الأحوال الشريفة ، ولذلك «أمر رسول الله ﷺ من لم يحضره البكاء فى قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن» (★) فإن هذه الأحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق أواخرها .

وكيف لا يكون التكلف سببا فى أن يصير المتكلف فى الآخرة طبعا ، وكل من يتعلم القرآن أو لا يحفظه تكلفا ويقرؤه تكلفا مع تمام التأمل واحضار الذهن ، ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجرى به لسانه فى الصلاة وغيرها وهو غافل، فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها فى حال غفلته .

وكذلك الكاتب يكتب فى الابتداء بجهد شديد ، ثم تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتب له طبعا ، فيكتب أوراقا كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر .

فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولا ، ثم يصير بالعادة طبعا ،وهو المراد بقول بعضهم : العادة طبيعة خامسة، فكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغى أن يقع اليأس منها عند فقدها ، بل ينبغى أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره .

فلقد شوهد فى العادات من اشتهى أن يعشق شخصا ولم يكن يعشقه ، فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ويقرر على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق المحمودة فيه ،حتى عشقه ورسخ ذلك فى قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره فاشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص ، فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه ، والخوف من سخطه ، وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا فقدها الإنسان فينبغى أن يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم ، وتحسين صفاتهم فى النفس وبالجلوس معهم فى السماع وبالدعاء والتضرع إلى الله تعالى فى أن يرزقه تلك الحالة بأن ييسر له أسبابها ، ومن أسبابها السماع ومجالسة الصالحين ، والخائفين

(★) **قال العراقى** : هذا الحديث تقدم تخريجه فى الباب الثانى من كتاب تلاوة القرآن .

والمحبين والمشتاقين والخاشعين ، فمن جالس شخصا سرت إليه صفاته من حيث لا يدرى .

ويدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله ﷺ فى دعائه : «**اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب من يقربنى إلى حبك**»(★) فقد فزع ﷺ إلي الدعاء فى طلب الحب .

فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكاشفات والى أحوال ، وانقسامه إلى ما يمكن الإفصاح عنه وإلى ما لا يمكن ، وانقسامه إلى المتكلف وإلى المطبوع .

فإن قلت : فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن - وهو كلام الله- ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء ، فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء ؟

فنقول : الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه ، وذلك يهيج بسماع القرآن أيضا .

وإنما الذى لا يهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق المخلوق ، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد : ٢٨) .

وقوله تعالى: ﴿ مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الزمر : ٢٣) .

وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع فى النفس فهو وجد ، فالطمأنينة والإقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد ، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنفال : ٢) .

(★) **قال العراقى :** هذا الحديث تقدم تخريجه فى كتاب الدعوات .

وقال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (الحشر : ٢١) ، فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال وإن لم يكن من قبيل المكاشفات، ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات .

ولهذا قال ﷺ : « **زينوا القرآن بأصواتكم** »(★) .

وقال لأبى موسى الأشعري : «**لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود** عليه السلام»(★★) .

وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله ﷺ : « **شيبتنى هود وأخواتها** » (٢٣٠٣) .

(★) **قال العراقى :** هذا الحديث تقدم تخريجه فى كتاب تلاوة القرآن .

(★★) **قال العراقى :** هذا الحديث تقدم تخريجه فى كتاب تلاوة القرآن .

(٢٣٠٣) حديث : قال ﷺ : « شيبتنى هود وأخواتها » **قال العراقى :** رواه الترمذى من حديث أبى جحيفة وله وللحاكم من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذى حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخارى .اهـ.

قال مرتضى : هكذا رواه الطبرانى فى الكبير من حديث عقبة بن عامر وأبى جحيفة وسند الطبرانى رجاله رجال الصحيح وقال الحافظ السخاوى فى المقاصد رواه ابن مردويه فى تفسيره من رواية محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال قيل يا رسول الله أسرع إليك الشيب قال شيبتنى هود والواقعة وأخواتهما وفى الترمذى والحلية لأبى نعيم من حديث شيبان عن أبى إسحاق السبيعى عن عكرمة عن ابن عباس قال أبو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت وصححه الحاكم وقال الترمذى إنه حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وقد رواه على بن صالح عن أبى إسحاق عن أبى جحيفة نحوه يعني كما أخرجه فى الشمائل بلفظ هود وأخواتها قال الترمذى وروى عن أبى إسحاق عن أبى ميسرة شيء من هذا وهو مرسل وكذا من حديث شيبان أخرجه البزار وقال اختلف فيه على أبى إسحاق فقال شيبان كذا وقال على بن صالح عن أبى إسحاق عن أبى جحيفة وقال زكريا بن أبى زائدة عن أبى إسحاق عن أبى ميسرة أن أبا بكر قال وحديث أبى بكر رواه كذلك أبو بكر الشافعى كما فى الفوائد الغيلانيات بل وأخرجه ابن أبى شيبة فى مسنده عن أبى الأحوص عن أبى إسحاق عن عكرمة قال أبو بكر سألت النبى ﷺ ما شيبك ؟ قال : شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت وهومرسل صحيح إلا أنه موصوف=

خبر عن الوجد ، فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف ، وذلك وجد .

وروى « أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسول الله ﷺ سورة النساء فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء : ٤١) قال حسبك ، وكانت عيناه تذرفان بالدموع » (٢٣٠٤) .

= بالاضطراب وقد أطال الدارقطني في ذكر علله واختلاف طرقه في أوائل كتاب العلل ونقل حمزة السهمي عنه أنه قال طرقه كلها معتلة وأنكره موسى بن إبراهيم الحمال على تمام وفيه نظر فطريق شيبان وافقه أبو بكر بن عياش عليها كما أخرجه الدارقطني في العلل وقال ابن دقيق العيد في أواخر الاقتراح إسناده على شرط البخاري ورواه البيهقي في الدلائل من رواية عطية عن أبي سعيد قال قال عمر بن الخطاب يا رسول الله لقد أسرع إليك الشيب قال شيبتني هود وأخواتها الواقعة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت وأخرجه ابن سعد وابن عدى من رواية يزيد الرقاشي عن أنس وفيه الواقعة والقارعة وسأل سائل وإذا الشمس كورت وللطبراني من حديث ابن مسعود بسند فيه عمرو بن ثابت وهو متروك أن أبا بكر سأل رسول الله ﷺ ما شيبك يا رسول الله ؟ قال شيبتني هود والواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت . اهـ.

قال مرتضى: وهذا الأخير رواه الطبراني كذلك من حديث سهل بن سعد وفيه سعيد بن سلام العطار وهو كذاب ويروى من حديث سعد بن أبي وقاص أخرجه ابن مردويه في تفسيره وسنده ضعيف وسياقه سياق حديث ابن عباس وأبي بكر ويروى شيبتني هود وأخواتها قبل المشيب رواه كذلك ابن مردويه عن أبي بكر ورواه سعيد بن منصور من حديث أنس بلفظ وأخواتها من المفصل ويروى من مرسل محمد ابن الحنفية شيبتني هود وأخواتها وما فعل بالأمم قبلي هكذا رواه ابن عساكر ومن مرسل أبي عمران الجوني بلفظ شيبتني هود وأخواتها ذكر يوم القيامة وقصص الأمم هكذا رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد لأبيه وأبو الشيخ في تفسيره وقد خرجت هذا الحديث في جزء سميته بذل المجهود في تخريج حديث شيبتني هود أوردت كلام الدارقطني بتمامه وكلام غيره فليراجع ذلك فإنه فيه المقصود والله أعلم .

(٢٣٠٤) حديث : « أن ابن مسعود » رضي الله عنه : « قرأ عليه » ﷺ سورة النساء « فلما انتهى إلى قوله » تعالى: « ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ قال حسبك فكانت عيناه تذرفان » أي تسيلان بالدموع . **قال العراقي :** متفق عليه من حديثه وقد تقدم في حديث رقم ٨٩٤ ص ٩٠٤ . اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والترمذي والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل بطرق عن ابن مسعود قال : قال النبي ﷺ اقرأ=

وفي رواية : « أنه ﷺ قرأ هذه الآيـة أو قرئ عنده : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (المزمل: ١٢ ، ١٣) فصعق » (٢٣٠٥) .

وفي رواية « أنه ﷺ قرأ : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ (المائدة : ١١٨) فبكى» (٢٣٠٦) .

= عليَّ قلت يا رسول اللـه أقرأ عليك وعليك أنزل قال نعم أني أحب أن أسمعه من غـيري فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فقال: حسبك فإذا عيناه تذرفان وأخرج الحاكم وصححه من حديث عمـرو بن حريث قـال قال رسول الله ﷺ لابن مـسعـود اقرأ فسـاق الحديث وفـيه فاستـعبر رسول الله ﷺ وكف عبد اللـه وأخرج ابن أبي حاتم والبغوي في معـجمه والطبراني بسند حسن عن محمد بن فضالة الأنصاري وكان ممن صحب النبي ﷺ أن رسـول الله ﷺ أتاهم في بني ظفر ومـعـه ابن مسعود ومـعاذ بن جبل وناس من أصحابه فأمر قـارئا فقرأ فأتى على هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فبكى حتى اضطرب لحياه وجنـباه وقال يا رب هذا شهدت على من أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أره.

(٢٣٠٥) حديث : « أنه » ﷺ « قرئ عنده » قوله تعالى : « ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً * وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ فصعق » **قال العراقي** : رواه ابن عدى في الكامل والبيهقي في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسلا .اهـ.

قال مـرتضى : الصحيح أنه معضل قال أبو عبيـد في فضائل القرآن حدثنا وكيع حدثنا حمزة الزيات عن حمران بن أعين قـال سمع رسول الله ﷺ رجلا يقرأ ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ فعلق وهكذا أخرجه أبو بكر بن أبي داود في فضائل القرآن عن هانئ محـمد بن أبي الحبيب عن وكـيع وعمران ضعيف وقـد ذكره ابن عدى في ترجمـته في الكامل من جملة ما أنـكر عليه وأخرجه من وجـه آخر ضعيف عن حـمزة بن حمران عن أبي حرب بن أبي الأسـود وزيادة أبي حرب فيه ضعيفـة و هو من ثقات التابعين حققه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار .

(٢٣٠٦) حديث : « أنه » ﷺ « قرأ ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ فبكى » **قال العراقي** : رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .اهـ.

=

« وكان ﷺ إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر » (٢٣٠٧) .

والاستبشار وجد ، وقد أثنى الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة : ٨٣) .

وروى « أن رسول الله ﷺ كان يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل » (٢٣٠٨) .

وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة ﷺ والتابعين فكثير ، فمنهم من صعق ومنهم من بكى ومنهم من غشى عليه ، ومنهم من مات فى غشيته .

وروى أن زرارة بن أبى أوفى وكان من التابعين « كان يؤم الناس بالرقة فقرأ : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ (المدثر : ٨) فصعق ومات فى محرابه » (٢٣٠٩) رحمه الله .

= **وقال مرتضى :** وكذلك أخرجه النسائي وابن أبى الدنيا فى حسن الظن وابن جرير وابن أبى حاتم وابن حبان وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات ولفظهم جميعا أن النبى ﷺ تلا قول الله تعالى فى إبراهيم ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ الآية وقال عيسى ابن مريم عليه السلام ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فرفع يديه فقال اللهم أمتى أمتى وبكى فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل أنا سنرضيك فى أمتك ولا نضرك .

(٢٣٠٧) حديث : « كان » ﷺ « إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر » **قال العراقى :** تقدم فى كتاب تلاوة القرآن حديث رقم ٨٨١ ص ٨٩٨ دون قوله واستبشر . اهـ.

قال مرتضى : وروى أحمد ومسلم والأربعة من حديث حذيفة كان إذا مر بآية خوف تعوذ وإذا مر بآية رحمة سأل وإذا مر بآية فيها تنزيه سبح .

(٢٣٠٨) حديث : « أنه » أى رسول الله ﷺ « كان يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل » **قال العراقى:** رواه أبو داود والنسائى والترمذى فى الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير وقد تقدم . اهـ.

(٢٣٠٩) حديث : « أن زرارة بن أوفى » كان من ثقات التابعين « كان يؤم الناس بالرقة فقرأ يوما فى صلاته ﴿ إِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ فصعق ومات فى محرابه » . =

وسمع عمر ﷺ رجلا يقرأ : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ (الطور : ٧، ٨) فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل إلى بيته فلم يزل مريضا فى بيته شهرا .

«وأبو جرير من التابعين قرأ عليه صالح المرى فشهق ومات» (٢٣١٠) .

وسمع الشافعى رحمه الله : قارئا يقرأ : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (المرسلات : ٣٥، ٣٦) فغشى عليه .

= **قال مرتضى : أغفله العراقى** وأخبرنا به عمر بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا أبو الحسين على بن عبد القادر عن أبيه عن جده قال أخبرنا جدى يحيى بن مكرم أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبرنا الحافظ تقى الدين محمد بن محمد بن محمد ابن فهر المكى أخبرنا إبراهيم بن صديق أخبرنا أبو إسحاق التنوخى أخبرنا بن أبى يوسف ابن عبد الرحمن المرى الحافظ أخبرنا الفخر على بن أحمد المقدسى أخبرنا القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقى أنبأنا إبراهيم بن عمر أنبأنا عبد الله بن إبراهيم بن أيوب أنبأنا أبو جعفر أحمد بن على الخراز حدثنا أبو بحر عبد الواحد بن غياث حدثنا أبو حباب القصاب واسمه عوف بن ذكوان قال صلى بنا زرارة بن أوفى صلاة الفجر فلما بلغ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ فشهق شهقة فمات هذا أثر حسن الإسناد أخرجه الترمذى فى أواخر كتاب الصلاة فى جامعه من طريق بهز بن حكيم قال صلى بنا زرارة بن أوفى فذكر نحوه وزاد فى آخره فكنت فيمن حمله ومن هذا الوجه أخرجه ابن أبى داود فى كتاب الشريعة .

(٢٣١٠) حديث : « كان أبو حميم » وفى نسخة أبو جهيم بالتصغير وفى أخرى أبو عمير من التابعين «يقرأ عليه صالح بن بشير المرى فشهق ومات » وكان صالح من أحسن الناس صوتا بالقرآن.

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد أخرج أبو عبيد فى فضائل القرآن وابن أبى داود فى كتاب الشريعة جملة من التابعين ومن بعدهم ممن صعق عند قراءة القرآن منهم الربيع بن خيثم وقد تقدمت قصته فى آداب تلاوة القرآن وهو من كبار التابعين ومنهم أبو أسيد من صغار التابعين أخرج ابن أبى داود من طريق خليد بن سعد قال وكان حسن الصوت بالقرآن وكان يقرأ عند أم الدرداء وكان أهل المسجد يجتمعون عندها وكان أبو أسيد إذا حضر قالت أم الدرداء لخليد لا تقرأ بآية شديدة تشد على الرجل وكان يصعق إذا سمع بآية شديدة قال ابن أبى داود وكان أبو أسيد مستجاب الدعوة وكان يقال إنه من الأبدال .

وسمع علي بن الفضيل : قارئا يقرأ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (المطففين : ٦) فسقط مغشيا عليه ، فقال الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك .

وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية .

فقد « كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمام له ، فقرأ الإمام : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ (الإسراء : ٨٦) فزعق الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واحمر وجهه وارتعدت فرائصه ، وكان يقول : بمثل هذا يخاطب الأحباب يردد ذلك مرارا» (٢٣١١) .

وقال الجنيد : دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشي عليه، فقال لي : هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشي عليه ، فقلت : اقرؤا عليه تلك الآية بعينها ، فقرئت فأفاق ، فقال : من أين قلت هذا ؟ فقلت : رأيت يعقوب عليه السلام كان عماه من أجل مخلوق فبمخلوق أبصر ، ولو كان عماه من أجل الحق ما أبصر بمخلوق ، فاستحسن ذلك .

ويشير إلى ما قاله الجنيد قول الشاعر :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

(٢٣١١) حديث : « كان أبو بكر الشبلي » رحمه الله تعالى « في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمام له فقرأ الإمام ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فزعق الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت بها روحه واخضر وجهه وأربد » أي تغير « وكان يقول بمثل هذا يخاطب الأحباب فكيف بغيرهم يردد ذلك مرارا على نفسه وهو مغلوب عليه » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وأخرجه القشيري في الرسالة فقال سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت أحمد بن مقاتل العكي يقول كنت مع الشبلي في مسجد ليلة في شهر رمضان وهو يصلي خلف إمام له وأنا بجنبه فقرأ الإمام ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فزعق زعقة قلت طارت روحه وهو يرتعد ويقول بمثل هذا يخاطب الأحباب ويردد ذلك كثيرا .

وقال بعض الصوفية : كنت أقرأ ليلة هذه الآية : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (آل عمران:١٨٥) فجعلت أرددها فإذا هاتف يهتف بى كم تردد هذه الآية فقد قتلت أربعة من الجن ما رفعوا رءوسهم إلى السماء منذ خلقوا .

وقال أبو على المغازلى للشبلى : ربما تطرق سمعى آية من كتاب الله تعالى فتجذبنى إلى الإعراض عن الدنيا ، ثم أرجع إلى أحوالى وإلى الناس فلا أبقى على ذلك ، فقال : ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به إليه ، فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك ، وإذا ردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك ، فإنه لا يصلح لك إلا التبرى من الحول والقوة فى التوجه إليه .

وسمع رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ (الفجر: ٢٧ ، ٢٨) فاستعادها من القارئ ، وقال : كم أقول لها ارجعى وليست ترجع ، وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه .

وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ ﴾ (غافر : ١٨) الآية فاضطرب ، ثم صاح : ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الإنذار بطاعتك ، ثم غشى عليه .

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا سمع أحدا يقرأ : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ (الانشقاق : ١) اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد .

وعن محمد بن صبيح قال : كان رجل يغتسل فى الفرات ، فمر به رجل على الشاطئ يقرأ: ﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (يس: ٥٩) فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات .

وذكر أن سلمان الفارسى أبصر شابا يقرأ فأتى على آية فاقشعر جلده ، فأحبه سلمان وفقده فسأل عنه فقيل له : إنه مريض ، فاتاه يعوده ، فإذا هو فى الموت فقال يا أبا عبد الله : أرأيت تلك القشعريرة التى كانت بى ، فإنها أتتنى فى أحسن صورة فأخبرتنى أن الله قد غفر لى بها كل ذنب .

وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن ، فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا فمثله ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : ١٧١) .

بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها .

قال جعفر الخلدى : دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة ، فقال للجنيد : متى يستوى عند العبد حامده وذامه ؟ فقال بعض الشيوخ : إذا دخل البيمارستان وقيد بقيدين ، فقال الجنيد : ليس هذا من شأنك ، ثم أقبل على الرجل وقال : إذا تحقق أنه مخلوق ، فشهق الرجل شهقة ومات .

فإن قلت : فإن كان سماع القرآن مفيداً للوجد ، فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القارئين، فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم فى حلق القراء لا حلق المغنين ، وكان ينبغى أن يطلب عند كل اجتماع فى كل دعوة قارئ لا قوال ، فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لا محالة .

فاعلم أن الغناء أشد تهيجا للوجد من القرآن من **سبعة أوجه :**

الوجه الأول : أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له ، فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم ، فمن أين يناسب حاله قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ (النساء : ١١) .

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ (النور : ٤) .

وكذلك جميع الآيات التى فيها بيان أحكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها وإنما المحرك لما فى القلب ما يناسبه ، والأبيات إنما يضعها الشعراء إعرابا بها عن أحوال القلب ، فلا يحتاج فى فهم الحال منها إلى تكلف .

نعم من يستولى عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعا لغيرها، ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعانى البعيدة من الألفاظ، فقد يخطر وجده على كل مسموع، كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ (النساء : ١١) حالة الموت المحوج إلى الوصية ، وأن كل إنسان لابد أن يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا، فيترك أحد المحبوبين للثانى ويهجرهما جميعا ، فيغلب عليه الخوف والجزع ، أو يسمع ذكر الله فى قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ (النساء: ١١) فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده ، أو يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته ، بأن تولى قسم مواريثهم بنفسه نظرا لهم فى حياتهم وموتهم ، فيقول : إذا نظر لأولادنا بعد موتنا ، فلا نشك بأنه ينظر لنا ، فيهيج منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا وسرورا ، أو يخطر له من قوله تعالى : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ (النساء : ١١) تفضيل الذكر بكونه رجلا على الأنثى ، وأن الفضل فى الآخرة لرجال ﴿ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (النور : ٣٧) ، وأن من ألهاه غير الله تعالى عن الله تعالى ، فهو من الإناث لا من الرجال تحقيقا ، فيخشى أن يحجب أو يؤخر فى نعيم الاخرة كما أخرت الأنثى فى أموال الدنيا، فأمثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه **وصفان :**

أحدهما : حالة غالبة مستغرقة قاهرة .

والآخر : تفطن بليغ وتيقظ بالغ كامل للتنبيه بالأمور القريبة على المعاني البعيدة وذلك مما يعز ، فلأجل ذلك يفزع إلى الغناء الذى هو ألفاظ مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها .

وروى أن أبا الحسين النورى كان مع جماعة في دعوي ، فجرى بينهم مسئلة فى العلم وأبو الحسين ساكت ، ثم رفع رأسه وأنشدهم :

رب ورقاء هتوف فى الضحى ذات شجو صدحت فى فنن
ذكرت الفا ودهرا صالحا وبكت حزنا فهاجت حزنى
فبكائي ربما أرقها وبكاها ربما أرقنى
ولقد أشكو فما أفهمها ولقد تشكو فما تفهمنى
غير أنى بالجوى أعرفها وهى أيضا بالجوى تعرفنى

قال : فما بقى أحد من القوم إلا قام وتواجد ، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذى خاضوا فيه ، وإن كان العلم جدا وحقا .

الوجه الثانى : أن القرآن محفوظ للأكثرين ، ومتكرر على الأسماع والقلوب، وكلما سمع أولا عظم أثره في القلوب ، وفى الكرة الثانية يضعف أثره ، وفى الثالثة يكاد يسقط أثره ، ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام فى مرات متقاربة في الزمان فى يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ، ولو أبدل ببيت آخر لتجدد له أثر فى قلبه وإن كان معربا عن عين ذلك المعنى .

ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالإضافة إلى الأول يحرك النفس وإن كان المعنى واحدا ، وليس يقدر القارئ على أن يقرأ قرآناً غريبا فى كل وقت ودعوة ، فإن القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ متكرر .

وإلى ما ذكرناه أشار الصديق ﷺ حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويبكون ، فقال : كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا .

ولا تظن أن قلب الصديق ﷺ كان أقسى من قلوب الأجلاف من العرب ، وأنه كان أخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم .

ولكن التكرار على قلبه اقتضى الرون عليه وقلة التأثر به لما حصل له من الأنس بكثرة استماعه ، إذ محال فى العادات أن يسمع السامع آية - لم يسمعها قبل - فيبكى ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة ثم يرددها ويبكى ، ولا يفارق الأول الآخر إلا فى كونه غريبا جديدا ، ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ، ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة .

ولهذا هم عمر ﷺ أن يمنع الناس من كثرة الطواف ، وقال : قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أى يأنسوا به ، ومن قدم حاجا فرأى البيت أولا بكى وزعق وربما غشى عليه إذا وقع عليه بصره ، وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك فى نفسه بأثر .

فإذًا المغنى يقدر على الأبيات الغريبة فى كل وقت ، ولا يقدر فى كل وقت على آية غريبة .

الوجه الثالث : أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا فى النفس ، فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذى ليس بموزون ، وإنما يوجد الوزن فى الشعر دون الآيات ، ولو زحف المغنى البيت الذى ينشده أو لحن فيه أو مال عن حد تلك الطريقة فى اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ، ونفر طبعه لعدم المناسبة ، وإذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش .

فالوزن إذًا مؤثر ، فلذلك طاب الشعر .

الوجه الرابع : أن الشعر الموزون يختلف تأثيره فى النفس بالألحان التى تسمى الطرق والدستانات ، وإنما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود

والوقف فى أثناء الكلمات والقطع والوصل فى بعضها ، وهذا التصرف جائز فى الشعر ولا يجوز فى القرآن إلا التلاوة كما أنزل ، فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ، ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه .

وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذى سببه وزن الألحان ، وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوما كما فى الأوتار والمزمار والشاهين وسائر الأصوات التى لا تفهم .

الوجه الخامس : أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره ، لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوى ، وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ فى التأثير ، وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب .

والقرآن جد كله عند كافة الخلق ، فلا يجوز أن يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة اللهو عند الخاصة وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث أنها لهو بل ينبغى أن يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل فى مجلس ساكن ولا فى حال الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن فى كل حال إلا المراقبون لأحوالهم فيعدل إلى الغناء الذى لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس وقد أمر رسول الله ﷺ بضرب الدف فى العرس فقال ﷺ : « **أظهروا النكاح ولو بضرب الغربال** » (٢٣١٢) أو بلفظ هذا معناه .

(٢٣١٢) حديث : « الأمر بضرب الدف فى العرس » **قال العراقى :** تقدم فى النكاح حديث رقم ١٤٦٢ ص ١٢٩٠ .اهـ.

قال مرتضى : ورواه ابن ماجه فى سننه فقال حدثنا نصر بن على الجهضمى والخليل بن عمرو قالا حدثنا عيسى بن يونس عن خالد بن الياس عن ربيعة بن عبد الرحمن عن القاسم =

وذلك جائز مع الشعر دون القرآن .

وكذلك « **لما دخل رسول الله ﷺ بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين ، فسمع إحداهن تقول : وفينا نبى يعلم ما فى غد على وجه الغناء ، فقال ﷺ : دعى هذا وقولى ما كنت تقولين** » (٢٣١٣) .

وهذه شهادة بالنبوة ، فزجرها عنها وردها إلى الغناء الذى هو لهو لأن هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو .

= عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ أعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالغربال ، خالد بن الياس ضعيف وقال الترمذى حدثنا أحمد بن منيع حدثنا يزيد بن هارون حدثنا عيسى بن ميمون عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف قال الترمذى حديث حسن غريب وميمون يضعف فى الحديث .

قال مرتضى : والحديث ثابت فى أصله ولو كان خالد وميمون ضعيفين وفى الباب عن جماعة وقد تقدم ذكر هذا الحديث في كتاب النكاح .

(٢٣١٣) حديث : « دخل رسول الله ﷺ بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين فسمع إحداهن تقول : وفينا نبى يعلم ما فى غد على وجه الغناء » وفى نسخة على معرض الغناء «فقال ﷺ : دعى هذا وقولى ما كنت تقولينه» **قال العراقى** : رواه البخارى من حديثها وقد تقدم فى كتاب النكاح حديث رقم١٤٦٤ ص١٢٩١ .اهـ.

قال مرتضى : أخرجه البخارى فى باب الضرب بالدف فى النكاح قالت جاء النبى ﷺ فدخل حين بنى على فجلس على فراشى كمجلسك منى فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائى يوم بدر إذ قالت إحداهن : وفينا نبى يعلم ما فى غد، فقال ﷺ دعى هذا وقولى الذى كنت تقولين وأخرجه الترمذى وأبو داود وقال حسن صحيح وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن أبى الحسين واسمه خالد المدائنى قال كنا بالمدينة يوم عاشوراء والجوارى يضربن بالدف ويتغنين فدخلنا علي الربيع بنت معوذ فذكرنا ذلك لها فقالت دخل على رسول الله ﷺ صبيحة عرسى وعندى جاريتان تغنيان وتندبان آبائى الذين قتلوا يوم بدر وتقولان فيما تقولان : وفينا نبى يعلم ما فى غد ، فقال أما هذا فلا تقولاه لا يعلم ما فى غد إلا الله وقد تقدم الحديث فى كتاب النكاح .

فإذاً يتعذر بسببه تقوية الأسباب التى بها يصير السماع محركا للقلب ، فواجب فى الاحترام العدول إلى الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة إلى الغناء .

الوجه السادس : أن المغنى قد يغنى ببيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعى غيره ، فليس كل كلام موافقا لكل حال ، فلو اجتمعوا فى الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا توافق حالهم ، إذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال ، فآيات الرحمة شفاء الخائف وآيات العذاب شفاء المغرور الآمن ، وتفصيل ذلك مما يطول .

فإذًا لا يؤمن أن لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس ، فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلا إلى دفعه ، فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب ، إذ لا يجد الخلاص عنه إلا بتنزيله على وفق حاله .

ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى .

وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ، ففيه خطر الكراهة أو خطر التأويل الخطأ لموافقة الحال ، فيجب توقير كلام الله وصيانته عن ذلك .

هذا ما ينقدح لى فى علل انصراف الشيوخ إلى سماع الغناء عن سماع القرآن .

وههنا وجه سابع : ذكره أبو نصر السراج الطوسى فى الاعتذار عن ذلك فقال : القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ، ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت ، والألحان الطيبة مناسبة للطباع ، ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ ، فإذا علقت الألحان والأصوات بما فى الأبيات من الإشارات واللطائف شاكل بعضها بعضا ، فكان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق ، فما دامت البشرية باقية ، ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات

الشجية والأصوات الطيبة ، فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذى هو صفته ، وكلامه الذى منه بدأ وإليه يعود .

هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره .

وقد حكى عن أبى الحسن الدراج أنه قال : قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد للزيارة والسلام عليه ، فلما دخلت الرى كنت أسأل عنه ، فكل من سألته عنه قال : إيش تعمل بذلك الزنديق ، فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف ، ثم قلت فى نفسى : قد جبت هذا الطريق كله فلا أقل من أن أراه ، فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه فى مسجد وهو قاعد فى المحراب وبين يديه رجل وبيده مصحف وهو يقرأ ، فإذا هو شيخ بهى حسن الوجه واللحية فسلمت عليه ، فأقبل على وقال : من أين أقبلت ؟ فقلت : من بغداد ، فقال : وما الذى جاء بك ؟ فقلت : قصدتك للسلام عليك ، فقال : لو أن فى بعض هذه البلدان قال لك إنسان أقم عندنا حتى نشترى لك دارا أو جارية أكان يقعدك ذلك عن المجىء؟ فقلت : ما امتحننى الله بشىء من ذلك ، ولو امتحننى ما كنت أدرى كيف أكون ، ثم قال لى : أتحسن أن تقول شيئا؟ فقلت : نعم ، فقال : هات ، فأنشأت أقول :

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى ... ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى
كأنى بكم والليت أفضل قولكم ... ألا ليتنا كنا إذ الليت لا يغنى

قال فأطبق المصحف ، ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته ، وابتل ثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ، ثم قال : يا بنى تلوم أهل الرى يقولون : يوسف زنديق ، هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ فى المصحف لم تقطر من عينى قطرة ، وقد قامت القيامة على لهذين البيتين .

فإذًا القلوب وإن كانت محترقة فى حب الله تعالى ، فإن البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرآن ، وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع، ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر .

وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهاجه ، وهو لذلك معجز لا يدخل فى قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه .

وروى أن اسرافيل أستاذ ذى النون المصرى دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت فى الأرض بإصبعه ، ويترنم ببيت فقال : هل تحسن أن تترنم بشيء ؟ فقال : لا ، قال : فأنت بلا قلب .

إشارة إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الأبيات والنغمات تحريكا لا يصادف فى غيرها فيتكلف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو بغيره وقد ذكرنا حكم المقام الأول فى فهم المسموع وتنزيله وحكم المقام الثانى فى الوجد الذى يصادف فى القلب .

فلنذكر الآن أثر الوجد أعنى ما يترشح منه إلى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره فنقول :

المقام الثالث من السماع :

نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا ما يحمد من آثار الوجد وما يذم .

فأما الآداب فهى **خمس جمل :**

الأول : مراعاة الزمان والمكان والإخوان .

قال الجنيد : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فلا تسمع الزمان والمكان والإخوان .

ومعناه أن الاشتغال به فى وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه ، فهذا معنى مراعاة الزمان ، فيراعى حالة فراغ القلب له .

وأما المكان فقد يكون شارعًا مطروقا أو موضعا كريه الصورة أو فيه سبب يشغل القلب ، فيجتنب ذلك .

وأما الإخوان فسببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد الظاهر مفلس من لطائف القلوب ، كان مستثقلا فى المجلس واشتغل القلب به ، وكذلك إذا حضر متكبر من أهل الدنيا يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته أو متكلف متواجد من أهل التصوف يرائى بالوجد والرقص وتمزيق الثياب ، فكل ذلك مشوشات ، فترك السماع عند فقد هذه الشروط أولى ، ففى هذه الشروط نظر للمستمع .

الأدب الثانى : وهو نظر الحاضرين.

إن الشيخ إذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغى أن يسمع فى حضورهم، فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر ، والمريد الذى يستضر بالسماع **أحد ثلاثة :**

أقلهم درجة : هو الذى لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ، ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السماع ، فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه .

الثانى : هو الذى له ذوق السماع ولكن فيه بقية من الحظوظ والالتفات إلى الشهوات والصفات البشرية ، ولم ينكسر بعد انكسارا تؤمن غوائله ، فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال .

الثـــالـث : أن يكون قد انكسـرت شهوته وأمنت غـائلته وانفتحت بصـيرته ، واستولى على قلـبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعـرف أسماء الله تعالى وصفاته ، وما يـجوز عليه وما يستحيل ، فإذا فتح له بـاب السماع نزل المسموع فى حق الله تعالى على مـا يجوز ومالا يجوز فيكون ضـرره من تلك الخواطر التى هى كفر أعظم من نفع السماع .

قال سـهل رحمه الله : كل وجـد لا يشهد له الـكتاب والسنة فهـو باطل ، فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وحب المحمدة والثناء ، ولا لمن يسـمع لأجل التلذذ والاستطابة بـالطبع ، فيـصيـر ذلك عادة له ويشـغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه ، فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه .

قال الجنيـد : رأيت إبليس فى النوم ، فقلت له: هل تظفر من أصـحابنا بشىء ، قال : نعم فى وقتين وقـت السماع ووقت النظر ، فإنى أدخل عليـهم به ، فقال بعض الشيـوخ : لو رأيته أنا لقلت له مـا أحمقـك من سمع منه إذا سمع ونظـر إليه إذا نظر كيف تظفر به ، فقال الجنيد : صدقت .

الأدب الثالـث : أن يكون مصغيا إلى ما يقول القائل .

حاضر القلب قليل الالتـفات إلى الجوانب متحرزا عن النظر إلى وجـوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجـد مشتغلا بنفسه ، ومراعاة قلبه ومـراقبة ما يفتح الله تعالى له ، من رحـمته فى سره مـتحفظا عن حـركة تشوش على أصـحابه قلوبهم بل يكون ساكن الظاهر هادئ الأطراف مـتحفظا عن التنحنح والتثـاؤب ، ويجلس مطرقا رأسه كجلوسه فى فكر مسـتغرق لقلبه متماسكًا عن التصـفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمرآة ساكتا عن النطق فى أثناء القول بكل ما عنه بد .

فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو معذور غير ملوم ، ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه ولا ينبغي أن يستديمه حياء من أن يقال : انقطع وجده على القرب ولا أن يتواجد خوفا من أن يقال : هو قاسى القلب عديم الصفاء والرقة .

حكى أن شابا كان يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعق ، فقال له الجنيد يوما : إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني ، فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولايزعق ، فحكى أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه .

وروى أن موسى عليه السلام قص فى بنى إسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه أو قميصه ، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له : مزق لى قلبك ولا تمزق ثوبك .

قال أبو القاسم النصراباذى لأبى عمرو بن عبيد أنا أقول : إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خيراً لهم من أن يغتابوا ، فقال أبو عمرو : الرياء فى السماع وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك .

فإن قلت : الأفضل هو الذى لا يحركه السماع ولا يؤثر فى ظاهره أو الذى يظهر عليه .

فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان ، وتارة يكون مع قوة الوجد ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال ، وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الأحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير ، وهو غاية الكمال ، فإن صاحب الوجد فى غالب الأحوال لا يدوم وجده ، فمن هو فى وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود ، فهذا لا تغيره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضي الله عنه : كنا كما كنتم ، ثم قست قلوبنا ، معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال .

فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام ، فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طارئا علينا حتى نتأثر به ، فإذًا قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظاهر . وقد يغلب أحدهما الآخر ، إما لشدة قوته ، وإما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك ، فلا تظنن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجدا من الساكن باضطرابه ، بل رب ساكن أتم وجدا من المضطرب .

فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (النمل : ٨٨) .

إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة .

وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة : صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رأيته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر أو القرآن ، فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ ﴾ (الحديد : ١٥) الآية فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد إلى حاله سألته عن ذلك فقال : نعم يا حبيبي قد ضعفنا .

وكذلك سمع مرة قوله تعالى : ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ (الفرقان : ٢٦) فاضطرب ، فسأله ابن سالم وكان من أصحابه فقال : قد ضعفت ، فقيل له : فإن كان هذا من الضعف فما قوّة الحال ؟ فقال : أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يتلقاه بقوة حاله، فلا تغيره الواردات وإن كانت قوية ، وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود .

كما حكي عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال : حالتي قبل الصلاة وبعدها واحدة لأنه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله تعالى في كل حال ، فكذلك يكون قبل

السماع وبعده ، إذ يكون وجده دائما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السماع فى زيادته .

كما روى أن ممشاذ الدينورى أشرف على جماعة فيهم قوّال فسكتوا فقال : ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهى الدنيا فى أذنى ما شغل همى ولا شفى بعض ما بى .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أتم من فضل الوجد .

فإن قلت : فمثل هذا لِمَ يحضر السماع ؟

فاعلم أن من هؤلاء من ترك السماع فى كبره وكان لا يحضر إلا نادرا لمساعدة أخ من الإخوان وإدخالا للسرور على قلبه ، وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون أنه ليس الكمال بالوجد الظاهر ، فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وإن لم يقدروا على الاقتداء به فى صيرورته طبعا لهم وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم ، كما يجلسون من غير سماع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضى الجلوس معهم .

وبعضهم نقل عنه ترك السماع ويظن أنه كان سبب تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه .

وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحانى فى السماع ولا كان من أهل اللهو ، فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه .

وبعضهم تركه لفقد الإخوان قيل لبعضهم : لم لا تسمع ؟ فقال: ممن ومع من .

الأدب الرابع : أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء،

وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المراآة ، لأن التباكى استجلاب للحزن ، والرقص سبب فى تحريك السرور والنشاط .

فكل سرور مباح فيجوز تحريكه .

ولو كان ذلك حراما لما « **نظرت عائشة** رضي الله عنها **إلى الحبشة مع رسول الله** صلى الله عليه وسلم **وهم يزفنون** » (٢٣١٤) هذا لفظ عائشة رضي الله عنها فى بعض الروايات

وقد روى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك .

وذلك فى قصة ابنة حمزة لما « **اختصم فيها على بن أبى طالب وأخوه جعفر وزيد ابن حارثة** رضي الله عنهم **فتشاحوا فى تربيتها ، فقال** صلى الله عليه وسلم **لعلى : أنت منى وأنا منك ، فحجل على ، وقال لجعفر : أشبهت خلقى وخلقى ، فحجل وراء حجل على ، وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا ، فحجل زيد وراء حجل جعفر ، ثم قال** صلى الله عليه وسلم **هى لجعفر لأن خالتها تحته والخالة والدة** » (٢٣١٥) .

(٢٣١٤) حديث : « نظر عائشة » رضي الله عنها « إلى رقص الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون» **قال العراقى** : تقدم فى حديث رقم ١٤٧٩ ص ١٢٩٧وحديث رقم ٢٢٧٧ ص ٢٠١٤ وحديث رقم ٢٢٧٩ ص ٢٠١٥ وحديث رقم ٢٢٨١ ص ٢٠١٦ .اهـ.

قال مرتضى : والذى فى صحيح مسلم من حديثها قالت جاء حبش يزفنون فى يوم عيد فى المسجد فدعانى النبى صلى الله عليه وسلم فوضعت رأسى على منكبه فجعلت انظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذى انصرف عن النظر إليهن.

(٢٣١٥) حديث : « اختصم على وجعفر وزيد بن حارثة فى ابنة حمزة » رضي الله عنهم « فقال » صلى الله عليه وسلم «لعلى: أنت منى وأنا منك ، فحجل » على « وقال لجعفر : أشبهت خَلقِى وخُلُقِى ، فحجل » وراء حجل على «وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا ، فحجل» زيد وراء حجل جعفر ثم قال صلى الله عليه وسلم : « هى لجعفر لأن خالتها تحته والخالة والدة» **قال العراقى** : رواه أبو داود من حديث على بإسناد حسن وهو عند البخاري دون فحجل وقد تقدم فى حديث رقم ٢٢٧٦ ص ٢٠١٤ .اهـ.

=

وفى رواية أنه قال لعائشة رضي الله عنها : « أتحبين أن تنظرى إلى زفن الحبشة » .

والزفن والحجل هو الرقص ، وذلك يكون لفرح أو شوق ، فحكمه حكم مهيجه إن كان فرحه محمودا ، والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود ، وإن كان مباحا فهو مباح، وإن كان مذموما فهو مذموم .

نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة لأنه فى الأكثر يكون عن لهو ولعب وما له صورة اللعب واللهو فى أعين الناس ، فينبغى أن يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر فى أعين الناس ، فيترك الاقتداء به .

وأما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار ، ولا يبعد أن يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدرى ، لغلبة سكر الوجد عليه أو يدرى ، ولكن يكون كالمضطر الذى لا يقدر على ضبط نفسه ، وتكون صورته صورة المكره ، إذ يكون له فى الحركة أو التمزيق متنفس ، فيضطر إليه اضطرار المريض إلى الانين، ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنه فعل اختيارى ؛ فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه .

فالتنفس فعل يحصل بالإرادة ولو كلف الإنسان أن يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس ، فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك ، فهذا لا يوصف بالتحريم .

فقد ذكر عند السرى حديث الوجد الحاد الغالب فقال : نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدرى ، فروجع فيه واستبعد أن ينتهى إلى هذا الحد ، فأصر عليه ولم يرجع .

=

قال مرتضى : وكذلك أخرجه البيهقى فى السنن والخالة هى أسماء بنت عميس وفى الصحيحين وغيرهما الخالة بمنزلة الأم .

ومعناه أنه فى بعض الأحوال قد ينتهى إلى هذا الحد فى بعض الأشخاص.

فإن قلت : فما تقول فى تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع ، فإنهم يمزقونها قطعاً صغاراً ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة.

فاعلم أن ذلك مباح إذا قطّع قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات ، فإن الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ، ولا يكون ذلك تضييعا لأنه تمزيق لغرض، وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن إلا بالقطع الصغار ، وذلك مقصود ، والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود مباح ، ولكل مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين ، ولكن ينبغى أن تكون القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها فى الرقاع ، وإنما منعنا فى السماع التمزيق المفسد للثوب الذى يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار .

الأدب الخامس : موافقة القوم فى القيام.

إذا قام واحد منهم فى وجد صادق من غير رياء وتكلف ، أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة فلابد من الموافقة فذلك من آداب الصحبة ، وكذلك إن جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق.

فالموافقة فى هذه الأمور من حسن الصحبة والعشرة ، إذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم .

ولابد من « **مخالقة الناس بأخلاقهم** » (٢٣١٦) كما ورد فى الخبر .

(٢٣١٦) حديث : « مخالقة الناس بأخلاقهم » **قال العراقى** : رواه الحاكم من حديث أبى ذر : خالقوا الناس بأخلاقهم . . . . الحديث وقال صحيح على شرط الشيخين .اهـ. =

لا سيما إذا كانت أخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة.

وقول القائل : إن ذلك بدعة ، لم يكن فى الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن الصحابة ﷺ ، وإنما المحذور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ، ولم ينقل النهى عن شىء من هذا .

والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب ، بل « **كان الصحابة** ﷺ **لا يقومون لرسول الله** ﷺ **فى بعض الأحوال** »(★) كما رواه أنس ﷺ ، ولكن إذا لم يثبت فيه نهى عام فلا نرى به بأسا فى البلاد التى جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام، فإن المقصود منه الاحترام والإكرام وتطييب القلب به ، وكذلك سائر أنواع المساعدات إذا قصد بها تطييب القلب ، واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها ، بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهى لا يقبل التأويل .

ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم أحوالهم . إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح ، والمتواجد هو الذى يلوح للجمع منه أثر التكلف ، ومن يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع . فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محك للصدق والتكلف .

سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال : صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد .

فإن قلت : فما بال الطباع تنفر عن الرقص ، ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو ومخالف للدين ، فلا يراه ذو جد فى الدين إلا وينكره .

= **قال مرتضى :** ورواه البزار من حديث ثوبان اصبروا وخالقوا الناس وخالفوهم فى أعمالهم .

(★) **قال العراقى :** هذا الحديث تقدم تخريجه فى كتاب آداب الصحبة .

فاعلم أن الجد لا يزيد على جد رسول الله ﷺ وقد رأي الحبشة يزفنون فى المسجد وما أنكره ، لما كان فى وقت لائق به وهو العيد ، ومن شخص لائق به وهم الحبشة ، نعم نفرة الطباع عنه لأنه يرى غالبا مقرونا باللهو واللعب .

واللهو واللعب مباح ، ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم ، وهو مكروه لذوى المناصب لأنه لا يليق بهم ، وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذى المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم ، فمن سأل فقيرا شيئًا فاعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ، ولو سأل ملكا فاعطاه رغيفا أو رغيفين لكان ذلك منكرا عند الناس كافة ، مكتوبا فى تواريخ الأخبار من جملة مساويه ويعير به أعقابه وأشياعه .

ومع هذا فلا يجوز أن يقال : ما فعله حرام لأنه من حيث أنه أعطى خبزا للفقير حسن ومن حيث أنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجرى مجراه من المباحات ، ومباحات العوام سيئات الأبرار وحسنات الأبرار سيئات المقربين .

ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناصب وأما إذا نظر إليه فى نفسه وجب الحكم بأنه هو فى نفسه لا تحريم فيه والله أعلم .

فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مكروها وقد يكون مستحبا .

أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا ، فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة .

وأما المكروه ، فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ، ولكنه يتخذه عادة له فى أكثر الأوقات على سبيل اللهو .

لا سيما إذا كانت أخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة.

وقول القائل : إن ذلك بدعة ، لم يكن فى الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن الصحابة ﷺ ، وإنما المحذور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ، ولم ينقل النهى عن شىء من هذا .

والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب ، بل « **كان الصحابة ﷺ لا يقومون لرسول الله ﷺ فى بعض الأحوال** » (★) كما رواه أنس ﷺ ، ولكن إذا لم يثبت فيه نهى عام فلا نرى به بأسا فى البلاد التى جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام ، فإن المقصود منه الاحترام والإكرام وتطييب القلب به ، وكذلك سائر أنواع المساعدات إذا قصد بها تطييب القلب ، واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها ، بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهى لا يقبل التأويل .

ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم أحوالهم . إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح ، والمتواجد هو الذى يلوح للجمع منه أثر التكلف ، ومن يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع . فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محك للصدق والتكلف .

سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال : صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد .

فإن قلت : فما بال الطباع تنفر عن الرقص ، ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو ومخالف للدين ، فلا يراه ذو جد فى الدين إلا وينكره .

= **قال مرتضى :** ورواه البزار من حديث ثوبان اصبروا وخالقوا الناس وخالفوهم فى أعمالهم .

(★) **قال العراقى :** هذا الحديث تقدم تخريجه فى كتاب آداب الصحبة .

فاعلم أن الجد لا يزيد على جد رسول الله ﷺ وقد رأي الحبشة يزفنون فى المسجد وما أنكره ، لما كان فى وقت لائق به وهو العيد ، ومن شخص لائق به وهم الحبشة ، نعم نفرة الطباع عنه لأنه يرى غالبا مقرونا باللهو واللعب .

واللهو واللعب مباح ، ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم ، وهو مكروه لذوى المناصب لأنه لا يليق بهم ، وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذى المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم ، فمن سأل فقيرا شيئًا فاعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ، ولو سأل ملكا فاعطاه رغيفا أو رغيفين لكان ذلك منكرا عند الناس كافة ، ومكتوبا فى تواريخ الأخبار من جملة مساويه ويعير به أعقابه وأشياعه .

ومع هذا فلا يجوز أن يقال : ما فعله حرام لأنه من حيث أنه أعطى خبزا للفقير حسن ومن حيث أنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجرى مجراه من المباحات ، ومباحات العوام سيئات الأبرار وحسنات الأبرار سيئات المقربين .

ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناصب وأما إذا نظر إليه فى نفسه وجب الحكم بأنه هو فى نفسه لا تحريم فيه والله أعلم .

فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مكروها وقد يكون مستحبا .

أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا ، فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة .

وأما المكروه ، فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ، ولكنه يتخذه عادة له فى أكثر الأوقات على سبيل اللهو .

وأما المباح ، فهو لمن لا حظ له منه ، إلا التلذذ بالصوت الحسن .

وأما المستحب ، فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ، ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة .

والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

تم كتاب (آداب السماع والوجد)

ويليه إن شاء الله تعالى كتاب (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)

★★★



كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وهو الكتاب التاسع من ربع العادات

وفيه أربعة أبواب :

(البــاب الأول) : فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته .

(الباب الـثانى) : فى أركانه وشروطه .

(الباب الـثالث) : فى مجاريه وبيان المنكرات المألوفة فى العادات .

(البــاب الرابع) : فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو الكتاب التاسع من ربع العادات الثانى من كتب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذى لا تستفتح الكتب إلا بحمده ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه وفده ، والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبده، وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده .

أما بعد ،

فإن الأمر بالمعروف والنهى على المنكر هو القطب الأعظم فى الدين وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد ، واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذى خفنا أن يكون فإنا لله وإنا إليه راجعون .

إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومة لائم .

فمن سعى فى تلافى هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهـذه السنة الداثرة ناهضا بأعبائهـا ومتشمّرا فى إحـيائها كان مسـتأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ، ومستبدًّا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها .

وها نحن نشرح علمه فى **أربعة أبواب** :

الباب الأول : فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته .

الباب الثانى : فى أركانه وشروطه .

الباب الثالث : فى مجاريه وبيان المنكرات المألوفة فى العادات .

الباب الرابع : فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

الباب الأول

فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته والمذمة فى إهماله وإضاعته

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه الآيات والأخبار والآثار .

أما الآيات :

فقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤) .

ففى الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن ﴾ أمر وظاهر الأمر الإيجاب ، وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ خص وقال: ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وإنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ .

فإذاً مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة .

وقال تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(آل عمران: ١١٣، ١١٤).

فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ (التوبة: ٧١).

فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالذى هجر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة: ٧٨، ٧٩).

وهذا غاية التشديد إذ «**علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهى عن المنكر**» (٢٣١٧).

(٢٣١٧) حديث: « علل استحقاقهم للعنة » التى هى الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى « بتركهم النهى عن المنكر ».

قال مرتضى: أغفله العراقى وأخرج الطبرانى من حديث أبى موسى الأشعرى رفعه قال: إن من كان قبلكم من بنى اسرائيل إذا عمل العامل فيهم الخطيئة فنهاه الناهى تعزيزا فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالأمس فلما رأي الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذى نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأخذن على يد المسئ ولتأطرنه على الحق اطرا أو وليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم.

وقال عز وجل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) .

وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إذ بيَّن إنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف : ١٦٥) .

فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهى عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضا .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (الحج: ٤١) .

فقرن ذلك بالصلاة والزكاة فى نعت الصالحين والمؤمنين .

وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة : ٢) .

وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الأماكن .

وقال تعالى : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (المائدة : ٦٣) .

فبين أنهم أثموا بترك النهى .

وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴾ (هود : ١١٦) الآية .

فبين أنه أهلك جميعهم إلا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ (النساء : ١٣٥) .

وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين .

«وقال تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ١١٤)» (٢٣١٨) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ (الحجرات : ٩) الآية .

والإصلاح نهى عن البغى وإعادة إلى الطاعة ، فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الحجرات : ٩) .

وذلك هو النهى عن المنكر.

(٢٣١٨) حديث : « قال تعالى : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فوعد بالأجر العظيم الذى هو الجنة » كما في حديث أنس مرفوعا لمن أمر بالمعروف والإصلاح ومنعهم عن الفساد والاختلاف .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج البيهقى من حديث أبى أيوب مرفوعا قال يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة ترضى الله ورسوله بموضعها قلت : بلى ، قال : تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن عبد الله ابن حبيب بن أبى ثابت قال كنت جالسا مع محمد بن كعب القرظى فأتاه رجل فقال له القوم أين كنت فقال : أصلحت بين قوم فقال محمد بن كعب أصبت لك مثل أجر المجاهدين ثم قرأ الآية ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ . . . . ﴾ إلى آخرها .

وأما الأخبار :

فمنها ما روى عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال فى خطبة خطبها : « أيها الناس إنكم تقرؤن هذه الآية وتأولونها على خلاف تأويلها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (المائدة : ١٠٥) وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » (٢٣١٩) .

(٢٣١٩) حديث : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه فى خطبة خطبها بعد أن استخلف : « أيها الناس إنكم تقرؤن هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده» **قال العراقى:** رواه أصحاب السنن وتقدم ذكره فى أول كتاب العزلة حديث رقم٢١٥٩ ص١٨٥٧ . اهـ.

قال مرتضى : هذا الحديث تقدم ذكره مبسوطا وبين سياقيهما تفاوت فإنه سبق له فى كتاب العزلة بلفظ قام أبو بكر خطيبا وقال يا أيها الناس إنكم تقرؤن هذه الآية وهى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإنكم تضعونها غير موضعها وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا رأي الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب وهذا السياق هو الذى أخرجه ابن أبى شيبة وأحمد وعبد بن حميد والعدنى وابن منيع والحميدى فى مسانيدهم والأربعة وصححه الترمذى وأبو يعلى والكجى فى سننهم وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن حبان والدارقطنى فى الافراد وابن منده فى غرائب شعبة وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى فى الشعب والضياء فى المختارة كلهم من طريق قيس بن أبى حازم قال : قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه فذكره والذى ساقه المصنف هنا هو أقرب إلى حديث جرير البجلى مرفوعا فيما أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد ما من قوم يكون بين أظهرهم رجل يعمل بالمعاصى أمنع منه وأعز لا يغيرون عليه إلا أوشك أن يعمهم الله منه بعقاب ولفظ ابن مردويه من طريق أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال خطب أبو بكر الناس فكان فى خطبته قال رسول الله ﷺ يا أيها الذين آمنوا لا تتكلوا على هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ إن الداعر ليكون فى الحى فلا يمنعوه فيعمهم الله بعقاب وله أيضا من حديث ابن عباس قال : قعد=

وروى عن أبى ثعلبة الخشنى « أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ (المائدة : ١٠٥) فقال: يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم ، قيل : بل منهم يا رسول الله ، قال : لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا » (٢٣٢٠) .

= أبو بكر على منبر رسول الله ﷺ يوم سمى خليفة رسول الله فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم مد يده فوضعها على المجلس الذى كان النبى ﷺ يجلس عليه من منبره ثم قال سمعت الحبيب وهو جالس فى هذا المجلس يتأول هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ ثم فسرها فكان تفسيره لنا أن قال نعم ليس من قوم عمل فيهم بمنكر ويفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا حق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم ثم أدخل أصبعيه فى أذنيه فقال أن لا أكون سمعته من الحبيب صمتا وأخرج أبو ذر الهروى فى الجامع من طريق قيس بن أبى حازم قال سمعت أبا بكر الصديق وقرأ هذه الآية فى المائدة ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ لتأمرن بالمعروف ولتهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم أو ليعمنكم الله بعقاب وقد تقدم شيء من ذلك فى كتاب العزلة.

(٢٣٢٠) حديث: قال أبو ثعلبة الخشنى رضي الله عنه : « أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ فقال : يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأي برأيه فعليك بنفسك ودع العوام إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم، فقيل : بل منهم يا رسول الله ، قال: بل منكم ، لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا» **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه. اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا ابن جرير والبغوى فى معجمه وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى في الشعب من طريق أبى أمية الشعبانى قال أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت له كيف تصنع فى هذه الآية قال : آية إية؟ قلت قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ قال أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله ﷺ قال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأي برأيه عليك=

« وسئل ابن مسعود ﷺ عن تفسير هذه الآية فقال : إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتى زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة : ١٠٥) »(٢٣٢١) .

= بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام فإن من ورائكم أيام الصبر الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفى رواية للحاكم بعد قوله مؤثرة وأمرا لابد لك من طلبه فعليك نفسك ودعهم وعوامهم وفيه أيضا صبر فيهن كقبض على الجمر وقد روى مثل ذلك من حديث معاذ بن جبل أنه قال : يارسول الله أخبرنى عن قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ الآية وقال يا معاذ مروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل امرئ برأيه فعليكم أنفسكم لا يضركم ضلالة غيركم فهو من ورائكم أيام صبر المتمسك فيها بدينه مثل القابض على الجمر فللعامل منهم يومئذ مثل عمل أحدكم اليوم كأجر خمسين منكم قلت : يا رسول الله خمسين منهم قال: بل خمسين منكم أنتم أخرجه ابن مردويه.

(٢٣٢١) حديث : « سئل ابن مسعود ﷺ عن تفسير هذه الآية فقال إن هذا ليس زمانها أنها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبرانى وأبو الشيخ كلهم من طريق الحسن عنه أنه سأله رجل عن قوله عليكم أنفسكم فقال: أيها الناس إنه ليس بزمانها أنها اليوم مقبولة ولكنه قد أوشك أن يأتى زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا أو قال فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم الآية وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد عنه فى قوله عليكم أنفسكم الآية قال مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر مالم يكن من دون ذلك السيف والسوط فإذا كان ذلك كذلك فعليكم أنفسكم وروى مثله عن الضحاك عن ابن عباس أخرجه ابن جرير من طريق جويبر عنه وأخرج عبد بن حميد ونعيم بن حماد فى الفتن وابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى فى الشعب من طريق أبى العالية قال كنا عند ابن مسعود فوقع بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه فقال رجل من جلساء عبد الله ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر فقال آخر إلى جنبه : عليك بنفسك فإن الله تعالى يقول: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ فسمعها ابن مسعود فقال مه لم يجئ تأويل هذه الآية بعد إن القرآن أنزل حيث أنزل فما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فمروا وانهوا فإذا=

وقال رسول الله ﷺ : « لتأمرن بالمعروف وتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » (٢٣٢٢) .

معناه تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم .

= اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعًا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية وقد روي بمثل تفسير ابن مسعود عن غيره من الصحابة ومن بعدهم قيل لابن عمر لو جلست فى مثل هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه فإن الله قال عليكم أنفسكم فقال أنها ليست لى ولا لأصحابى لأن رسول الله ﷺ قال إلا فليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم أخرجه ابن جرير وابن مردويه وأخرج عبد الرزاق وابن جرير من طريق قتادة عن رجل قال كنت فى خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة فى حلقة فيهم أصحاب النبى ﷺ فإذا فيهم شيخ حسبت أنه قال أبى بن كعب فقرأ عليكم أنفسكم فقال إنما تأويلها فى آخر الزمان وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ من طريق قتادة عن أبي مازن قال انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة فإذا قوم جلوس فقرأ أحدهم ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ فقال: أكثرهم لم يجئ تأويل هذه الآية اليوم وأخرج ابن جرير عن جبير بن نفير قال : كنت فى حلقة فيها أصحاب النبى ﷺ وأنى لأصغر القوم نتذاكر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقلت: أليس الله يقول عليكم أنفسكم فاقبلوا على بلسان واحد فقالوا أتنزع آية من القرآن لا تعرفها ولا تدرى ما تأويلها حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت ثم أقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم قالوا إنك غلام حدث السن وإنك انتزعت آية لا تدرى ما هى وعسى أن تدرك ذلك الزمان إذارأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأي برأيه فعليك بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت وأخرج ابن مردويه من حديث أبى سعيد الخدرى قال ذكرت هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال نبى الله ﷺ : لم يجئ تأويلها لا يجئ تأويلها حتى يهبط عيسى ابن مريم عليه السلام وأخرج ابن أبى حاتم عن مكحول أن رجلا سأله عن هذه الآية فقال إن تأويل هذه الآية لم يجئ بعد إذا هاب الواعظ وأنكر الموعوظ فعليك بنفسك لا يضرك حينئذ من ضل إذا اهتديت .

(٢٣٢٢) حديث : قال ﷺ : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم» **قال العراقى** : رواه البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة وكلاهما ضعيف وللترمذى من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال : أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم ، قال : هذا حديث حسن .اهـ.

قال مرتضى : حديث أبى هريرة أخرجه الخطيب أيضا وحديث حذيفة أخرجه كذلك أحمد والبيهقى .

وقال ﷺ : « يا أيها الناس إن الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم » (٢٣٢٣) .

وقال ﷺ : « ما أعمال البر عند الجهاد فى سبيل الله إلا كنفثة فى بحر لجى وما جميع أعمال البر والجهاد فى سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا كنفثة فى بحر لجى » (٢٣٢٤) .

وقال ﷺ : « إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس » (٢٣٢٥) .

(٢٣٢٣) حديث : قال ﷺ : « يا أيها الناس إن الله سبحانه يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم » **قال العراقى** : رواه أحمد والبيهقى من حديث عائشة بلفظ مروا وانهوا وهو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى وفي إسناده لين . اهـ.

قال مرتضى : لفظ ابن ماجه قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم .

(٢٣٢٤) حديث : قال ﷺ : « ما أعمال البر عند الجهاد فى سبيل الله إلا كنفثة فى بحر لجى وما جميع أعمال البر والجهاد فى سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا كنفثة فى بحر لجى » **قال العراقى** : رواه الديلمى فى مسند الفردوس مقتصرا على الشطر الأول من حديث جابر بإسناد ضعيف وأما الشطر الأخير فرواه على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أو معضلا ولا أدرى من يحيى بن عطاء . اهـ.

قال مرتضى : لفظ الديلمى ما أعمال العباد كلهم عند المجاهدين فى سبيل الله إلا كمثل خطاف أخذ بمنقاره من ماء البحر وهكذا رواه أيضا أبو الشيخ ابن حبان من حديث أنس وأما يحيى بن عطاء فليس له ذكر ووجد بخط الحافظ ابن حجر فى هامش الكتاب لعله يحيى عن عطاء .

قال مرتضى : فلا يكون الحديث معضلا وينظر من يحيى هذا الذى روى عن عطاء .

(٢٣٢٥) حديث : قال ﷺ : « إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس » أى خفت منهم **قال العراقى** : رواه ابن ماجه بإسناد جيد وقد تقدم فى حديث رقم ٢١٦٠ ص ١٨٥٨ . اهـ.

وقال ﷺ : « إياكم والجلوس على الطرقات ، قالوا : ما لنا بد إنما هى مجالسنا نتحدث فيها ، قال : فإذا أبيتم إلا ذلك فاعطوا الطريق حقها ، قالوا: وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » (٢٣٢٦) .

وقال ﷺ : « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو ذكرا لله تعالى » (٢٣٢٧) .

وقال ﷺ : « إن الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه » (٢٣٢٨) .

(٢٣٢٦) حديث : قال ﷺ : « إياكم والجلوس على الطرقات ، قالوا : ما لنا إنما هى مجالسنا نتحدث فيها ، قال : فإذا أبيتم إلا ذلك فاعطوا الطريق حقها ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى سعيد .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد وأبو داود وعند بعضهم إياكم والجلوس على الطرقات فإن أبيتم إلا المجالس فاعطوا الطريق حقها .... الحديث .

(٢٣٢٧) حديث: قال ﷺ : « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمرًا بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى» **قال العراقى :** تقدم فى العلم حديث رقم ١٦٩ ص ٢٤٩ .اهـ.

قال مرتضى : ورواه عبد بن حميد والترمذى وقال غريب وابن ماجه وابن أبى الدنيا فى الصمت وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد وابن المنذر وابن السنى والطبرانى فى الكبير وابن شاهين فى الترغيب فى الذكر والعسكرى فى الأمثال والحاكم والبيهقى كلهم من طريق محمد بن عبد الله بن يزيد بن حسين قال: دخلت على سفيان الثورى نعوده ومعنا سعيد بن حسان المخزومى ، فقال له سفيان : أعد على الحديث الذى كنت حدثتنيه عن أم صالح ، قال : حدثتنى أم صالح بنت صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة زوج النبى ﷺ : قالت : قال رسول الله ﷺ : .... فساقه ، فقال محمد بن يزيد : ما أشد هذا الحديث ، فقال سفيان : وما شدة هذا الحديث ، إنما جاءت به امرأة عن امرأة ، هذا فى كتاب الله عز وجل أما سمعت الله عز وجل يقول : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ فهو هذا بعينه الحديث وقد تقدم فى كتاب العلم .

(٢٣٢٨) حديث : قال ﷺ : « إن الله » تعالى « لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يروا المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه » **قال العراقى :** رواه أحمد من حديث=

وروى أبو أمامة الباهلى ﷺ عن النبى ﷺ : « أنه قال : كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله ! قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر ، قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله! قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه ؟ قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ، قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ! قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ، قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ! قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، يقول الله تعالى : بى حلفت لاتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران » (٢٣٢٩) .

= عدى بن عميرة وفيه من لم يسم والطبراني من حديث أخيه العرس بن عميرة وفيه من لم أعرفه . اهـ.

قال مرتضى : ولفظ أحمد لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يرى المنكر بين ظهرانيهم وفى آخره فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة وأخرجه الخطيب فى رواة مالك من طريق ابن مسلمة عن أبيه عن النبى ﷺ مثله .

(٢٣٢٩) حديث : قال أبو أمامة الباهلى ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم ؟ قالوا : وإن ذلك كائن يا رسول الله! قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه » يا رسول الله ؟ « قال : كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ، قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ! قال: نعم والذى نفسى بيده وأشد منه ، قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ، قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ! قال : والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ، قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، يقول الله تعالى : بى حلفت لاتيحن أى لأقدرن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران » **قال العراقى** : رواه ابن أبى الدنيا بإسناد ضعيف دون قوله كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ورواه أبو يعلى من حديث أبى هريرة مقتصرا على الأسئلة الثلاثة الأول وأجوبتها دون الآخرين واسناده ضعيف أيضا . اهـ. =

وعن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه** » (٢٣٣٠) .

قال : وقال رسول الله ﷺ : « **لا ينبغى لامرئ شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له** » (٢٣٣١) .

وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ، ولا حضور المواضع التى يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فإنه قال : اللعنة تنزل على من حضر ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بأنه عاجز.

ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات فى الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضى لزوم الهجر للخلق .

ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : « **ما ساح السواح وخلوا دورهم وأولادهم إلا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ، ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم ، ورأوا الفتن ولم يؤمنوا أن تعتريهم وأن ينزل العذاب بأولئك**

= **قال مرتضى :** وقد أخرج أبو عثمان الصابونى فى المائتين حدثنا حديثا عن أنس يشبه سياقه إلا أن المراجعة فيه من سلمان وهو طويل جدا قد أمليته فى جملة الأمالى الشيخونية.

(٢٣٣٠) حديث : قال عكرمة ﷺ : قال ابن عباس ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما » أى من غير وجه شرعى « فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه » ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه **قال العراقى:** رواه الطبرانى بسند ضعيف والبيهقى فى شعب الإيمان بسند حسن. اهـ.

(٢٣٣١) حديث : قال ابن عباس ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « لا ينبغى لامرئ شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولم يحرمه رزقا هو له» **قال العراقى :** رواه البيهقى في الشعب من حديث ابن عباس بسند الحديث الذى قبله وروى الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه . اهـ.

القوم فلا يسلمون منه فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خير من مجاورة هؤلاء فى نعيمهم ثم قرأ : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الذاريات: ٥٠) قال : ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه فى النبوة من السر لقلنا : ما هم بأفضل من هؤلاء فيما بلغنا أن الملائكة عليهم السلام لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها أين أمرت فتخبره وليس بنبى » (٢٣٣٢) .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها » (٢٣٣٣) .

ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة أو يتفق جريان ذلك بين يديه فأما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الأول .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى فيمكث النبى بين أظهرهم ماشاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيهم فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رءوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما

(٢٣٣٢) حديث : « قوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ قال ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه فى النبوة » من السر « ما جعل لقلنا ما هم بأفضل من هؤلاء فيما بلغنا أن الملائكة » عليهم السلام« لتلقاهم فتصافحهم والسحاب والسباع يمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها» أى السحاب « أين أمرت فتخبره وليس بنبى » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه أبو نعيم فى الحلية .

(٢٣٣٣) حديث : قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها » **قال العراقى :** رواه ابن عدى وفيه يحيى ابن سليمان قال البخارى منكر الحديث ولأبى داود نحوه من حديث العرس بن عميرة.اهـ.

قال مرتضى : ومن حديث أبى هريرة رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورواه أيضا البيهقى وضعفه ولفظهم فى الموضعين فكأنما بدل فكأنه .

ينكرون فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك إسلام» (٢٣٣٤) .

وقال ابن مسعود ﷺ : « كان أهل قرية يعملون بالمعاصى وكان فيهم أربعة نفر ينكرون مايعملون فقام أحدهم فقال : إنكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون ، فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن أعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه ، فاعتزل ثم قال : اللهم إنى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب ، ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم إنى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب، ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال : اللهم إنى قد نهيتهم فلم يطيعونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب ، ثم قام الرابع فقال: اللهم إنى لو نهيتهم لعصونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب ؛ قال ابن مسعود ﷺ : كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله » (٢٣٣٥) .

(٢٣٣٤) حديث : قال ابن مسعود ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى » أي أنصار « فيمكث النبى بين أظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وسنة نبيهم فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر ويقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فإن لم يتسطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك اسلام» **قال العراقى :** روى مسلم نحوه .اهـ.

قال مرتضى : وكأنه يشير إلى حديث أبى سعيد الخدرى رفعه فيما رواه مسلم وأبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه بلفظ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان وقد رواه كذلك الطيالسى وأحمد وعبد بن حميد وابن حبان ورواه النسائى بلفظ من رأى منكرا فغيره بيده فقد برئ ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برئ ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ وذلك أضعف الإيمان وسيأتى للمصنف في الباب الثانى .

(٢٣٣٥) حديث : « كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله » وقد روى عن ابن مسعود فى تفسير قوله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الآية ما يقارب هذا السياق . =

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « قيل يا رسول الله : أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم ، قيل :بم يا رسول الله؟ قال : بتهاونهم وسكوتهم على معاصى الله تعالى »(٢٣٣٦) .

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ : « أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها ، فقال : يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين ، قال : اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر فىّ ساعة قط »(٢٣٣٧) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء ، قالوا يا رسول الله كيف ؟ قال : لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر »(٢٣٣٨) .

= **قال مرتضى : أغفله العراقى** وقد رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه .

(٢٣٣٦) حديث : قال ابن عباس رضي الله عنهما : « قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم ، قيل : بم يا رسول الله ؟ قال : بتهاونهم وسكوتهم عن معاصى الله » تعالى **قال العراقى** : رواه البزار والطبراني بسند ضعيف .اهـ.

(٢٣٣٧) حديث : قال جابر بن عبد الله الأنصارى رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « أوحى الله » تبارك وتعالى « إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال » الملك «يا ربّ إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتغير فى ساعة قط » وفى نسخة لم يتمعر **قال العراقى** : رواه الطبرانى في الأوسط والبيهقى فى الشعب وضعفه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار .اهـ.

(٢٣٣٨) حديث: قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله عز وجل ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر » **قال العراقى** : لم أقف عليه مرفوعا وروى ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصغانى أوحى الله إلى يوشع بن نون أنى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يغضبوا لغضبى فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم .اهـ.

قال مرتضى : وجد بخط الحافظ ابن حجر فى هامش الكتاب ما لفظه هذا ذكره الغزالى فى الباب الذى بعد هذا وأغفل الشيخ التنبيه عليه .

قال مرتضى : قد ذكر هذه القصة فى الآثار كما سيأتى قريبا .

وعن عروة عن أبيه ﷺ قال: « قال موسى عليه السلام : يا رب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : الذى يتسرع إلى هواى كما يتسرع النسر إلى هواه والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبى بالثدى والذى يغضب إذا أتيت محارمى كما يغضب النمر لنفسه فإن النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا » (٢٣٣٩) .

وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف .

وقال أبو ذر الغفارى ﷺ : « قال أبو بكر الصديق ﷺ : يا رسول الله هل من جهاد غير قتل المشركين ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم يا أبا بكر إن لله تعالى مجاهدين فى الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الأرض يباهى الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله ﷺ فقال أبو بكر ﷺ : يا رسول الله ومن هم ؟ قال : هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون فى الله والمبغضون فى الله ثم قال: والذى نفسى بيده إن العبد منهم ليكون فى الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلثمائة ألف باب منها الياقوت والزمرد الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوج بثلثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما نظر إلى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر » (٢٣٤٠) .

(٢٣٣٩) حديث: قال عروة بن الزبير بن العوام عن أبيه ﷺ قال : « قال موسى عليه السلام يا رب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : الذى يتسارع إلى هواى كما يتسارع النسر » وفى بعض النسخ النسيم « إلى هواه والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبى بالثدى » أى ثدى أمه وفى نسخة بالناس « والذى يغضب إذا أتيت محارمى كما يغضب النمر لنفسه فإن النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا » .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢٣٤٠) حديث : قال أبو ذر الغفارى ﷺ : « قال أبو بكر » الصديق ﷺ : « يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين ؟ قال » رسول الله ﷺ « نعم يا أبا بكر إن لله تبارك وتعالى =



بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفَّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب